ترجمة معاني القرآن الكريم
الكيفية وتحقيق الغاية: دراسة ومقارنة

أ.شريفة بلحوتس

جامعة مولود معمري- تيزي- وزو

ملخّص: عرفت ترجمة القرآن الكريم جدلا واسعا في أوساط الباحثين والمهتمين بترجمته، وينادي العلماء بترجمة معانيه واجتناب الترجمة الحرفية التي تخدم اللفظ لا المعنى لأن نشر الدعوة والتعريف بالقرآن الكريم بات ضرورة في ظل الهجمات التي تشنّها بعض الدراسات الغربية ضدّ الإسلام قصد تشويه صورته، ومع ذلك لا يمكن نقل الأثر الوارد في النص القرآني لأنه معجز من نواحي عديدة، حتى وإن كان المترجم ضليعا باللغة المنقولة واللغة المنقول إليها وسعى إلى إحداث ما يعرف في نظرية نايدا بالتكافؤ الدينامي أي مبدأ تكافؤ الاستجابة مع عدم الالتزام بالّشكل بل الأولوية للمعنى غير أن هذا الاتجاه يعطي للمترجم الحرية المطلقة في إعادة الصياغة دون التقيّد بالحدود التي تفرضها طبيعة النص المقدّس، ناهيك عن جهل المترجم بالعلوم الشرعية. والترجمات المتوفّرة التي قام بها مسلمون ومستشرقون تشمل على أخطاء فيها زيادة ونقصان، وعليه لا بد من دراستها ومقارنتها فيما بينها قصد الوصول إلى منهج سليم في ترجمة معاني القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الترجمة، التكافؤ الدينامي، تكافؤ الاستجابة، الأثر.

تكمن مهمّة المترجم في نقل معنى النص الأصلي بدقّة وأمانة مهما كانت اللغة التي يترجم إليها، فهو الوسيط ما بين الكاتب الأصلي ومتلقّي الترجمة، ولكن هل يحرص المترجمون جميعهم على النقل بأمانة دون إضافة أو نقصان وعلى نقل الأثر الذي يحدثه النص الأصلي بمعنى إحداث التأثير نفسه، وهل يشعر جميعهم بالأثر ذاته رغم اختلاف مشاربهم ومعتقداتهم أم أن الغرض قد ينحصر في إحداث

شعور ما لدى المتلقي يكون مقصودا من قبل المترجم. وفي الحالات كلها، يتّبع المترجم إستراتيجية في الترجمة لتحقيق الغرض الذي يرمي إليه.

إن التقسيم التقليدي للترجمة يتمثّل في الترجمة الحرفية والترجمة الحرة، وهما طريقتان استعملهما العرب قديما، فعرفت الترجمة الحرفية بطريقة يوحنى ابن البطريق والترجمة الحرة بطريقة حنين ابن اسحاق[1]. ودرس منظرو الترجمة هاتين الطريقتين، فمنهم من أيّد الترجمة الحرفية والحفاظ على الشكل ومنهم من اتخّذ اتجاها معاكسا ونادى بالترجمة الحرة لنقل المعنى.

إن نقل المعنى بأمانة يتطلّب استعمال المفردات الدقيقة والتراكيب المناسبة فالأولوية للمعنى على حساب الشكل كما يذكر نايدا.

تحدّث نايدا عن مبدأ تكافؤ الاستجابة في نظريته عن طريق ايجاد المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة النص المصدر مع التركيز على المعنى دون الشكل ، لذلك عرّف الترجمة بقوله:

Translation consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source language message , first in terms of meaning and secondly in terms of style[2]

أي أن الترجمة تعيد صياغة المكافئ الطبيعي الأقرب في لغة المتلقّي من حيث المعنى أولا ومن حيث الأسلوب ثانيا.

اهتمّ المنظّرون في الترجمة بالتكافؤ منذ الخمسينيات، ومنهم فيني وداربلنيه (Vinay et D Darbelnet) (1958)، وجاكوبسون، (Jakobson) (1959)، وكاتفورد (Catford) (1965)، ونايدا وتابر (Nida and Taber) (1969)، وكولر (Koller) (1979)، وهاوس (House) (1997)، وبيكر (Baker) (1992)، وبيم (Pym) (2010). ودرسوا التكافؤ من زوايا متعدّدة، ونخصّ بالذّكر يوجين نايدا وتابر فقد درسا التكافؤ من حيث التأثير.

يسعى نايدا من خلال نظريته إلى إحداث التكافؤ الدينامي الذي يمثّل تكافؤ الاستجابة، وهي نظرية وضعت أساسا لترجمة الكتاب المقدّس.

يقوم المترجم بالتحليل والتحويل والتوليد، مهتمّا بالمعنى بكافة جوانبه، فيتعرّف على المعنى اللغوي في التحليل النحوي ومن ثمّ وظيفة الفئة النحوية، فالفاعل مثلا في النص المصدر لا يتغيّر في الترجمة ولو تغيّر موضعه، كما يتبيّن المعنى الإحالي أو المرجعي الموجود في المعاجم والذي يختلف حسب السياق، ويولي أهمية أيضا للمعنى المجازي المتعلّق بالسياق الثقافي حين يكون للكلمة معنى إضافي مثل fox بمعنى ماكر، والمعنى الشعوري الذي يصاحب الكلمة كدلالة الألوان في الثقافات المختلفة والشعور المصاحب لصورة حيوان معيّن قد يكون مقدّسا في ثقافة معيّنة ومثيرا للاشمئزاز في ثقافة أخرى، كما هو الحال بالنسبة لطائر العقاب فهو مقدّس في الشيلي ومثير للاشمئزاز عند الفرنسيين.

ففَهْمُ المعنى يمثّل مرحلة أولى من مراحل الترجمة في أنواع النصوص كلها وذكره نيومارك أيضا حين تحدّث عن الفهم إلى حدّ التأويل والصياغة إلى حدّ الإبداع، ومع ذلك يقرّ نايدا بخسارة جزء من المعنى في كل ترجمة نقوم بها، فإذا كان هذا حال الترجمة لكلام البشر فكيف هي الترجمة لكلام الخالق المتمثّل في القرآن الكريم.

أثارت قضية ترجمة القرآن الكريم جدلا واسعا من حيث جوازها أو تحريمها لأنها ترجمة لكلام الله، والترجمة الحرفية تشوّه المعنى وهذا راجع إلى الألفاظ المستعملة في الترجمة فهي لا تساوي في المعنى ألفاظ القرآن التي تعبّر عن معاني متعدّدة بلفظة واحدة وإلى أسلوبه المعجز، فترجمته حرفيا هي ترجمة محرّمة مهما بلغ علم المترجم باللغات وأساليبها وتراكيبها.[3]

لذلك دعا العلماء إلى الترجمة المعنوية وهي ترجمة تفسيرية تنقل المعنى دون التقيّد بالألفاظ وترتيبها فهي جائزة شرعا بل هي مطلوبة"[4]، في سبيل نشر الدعوة والتعريف بما جاء في القرآن الكريم.

فترجمة معاني القرآن التي تتطلّب الفهم والتدبّر لا تقوم على أساس فهم المترجم للقرآن بل ترتبط بتفاسيره، ليكون المعنى صحيحا وذا مرجعية دينية

لأن المترجم ليس عالما بعلوم القرآن والاعتماد على الاجتهاد الشخصي في الفهم يؤدّي إلى تأويلات فيها تحريف للقرآن خاصة وأن التكافؤ الدينامي(dynamic equivalence) لا يضع حدودا أمام المترجم، هذا إن التزم المترجم بهذا المنهج، والنتيجة ذاتها إذا سلك طريق الترجمة الحرفية التي تنقل اللفظ لا المعنى.

من الملاحظ أن ترجمات معاني القرآن الكريم مختلفة فيما بينها، من حيث المفردات والتراكيب،

والمتتبّع لهذه الترجمات يجد اختلافات واضحة فيما بينها إضافة إلى وجود أخطاء سواء في فهم المعنى أو في صياغته في اللغة المنقول إليها

وفي ترجمات كل من حميد الله وجاك بيرك وهاشمي حفيان لمعاني القرآن الكريم تستوقفنا جملة من الملاحظات والأخطاء، فيها تحريف وحذف وإضافة وفيما يلي تعريف وجيز لهذه الترجمات قبل التطرّق إليها:

ترجمة جاك بيرك: جاك بيرك مستشرق فرنسي، ولد سنة 1910 وتوفي سنة 1995 صدرت ترجمته سنة 1990 بعنوان

Le Coran, Essai de traduction de l'arabe annoté et suivi d'une étude exégétique

وهي في حدود 842 صفحة ولا تحتوي على النص العربي.

ترجمة حميد الله: محمد حميد الله مسلم هندي، ولد سنة 1908 بحيدرآباد وتوفي سنة 2002، صدرت ترجمته أول مرّة سنة 1959 بعنوان

LE NOBLE CORAN et la traduction en langue française de ses sens

واعتمدت إدارة البحوث الإسلامية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالعربية السعودية وقام بطبعها مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وله أكثر من عشرين طبعة.

يضم الكتاب 1232 صفحة بما في ذلك النص القرآني.

ترجمة هاشمي حفيان: مترجم جزائري ولد بالمغرب سنة 1939، صدرت ترجمته سنة 2008 بعنوان:

Le saint Coran et la traduction du sens de ses versets

يضم الكتاب ترقيمين، الترقيم الأول من اليمين إلى اليسار وهو يضم النص الأصلي في حدود 604 صفحة والترقيم الثاني من اليسار إلى اليمين باللغة الفرنسية يضم التمهيد والمقدمة والدراسة في حدود 37 صفحة.

ومن بين الملاحظات التي اهتدينا إليها في دراستنا لهذه الترجمات نجد ترجمة لفظ الجلالة "الله".

استعمل حميد الله التحويل وهو الكتابة الصوتية للكلمة "Allah"، لأنها مرتبطة بالإسلام فما من قارئ يقرأ هذه الكلمة أو يسمعها من متحدّث إلا ويدرك أن السياق الذي جاءت فيه إسلامي، وإذا ما استعملت في رواية ما فالناطق بها يعدّ شخصية مسلمة، فهي عنوان للطابع الإسلامي. أما جاك بيرك وهاشمي حفيان فاستعملا كلمة "Dieu" وهي ترجمة عامة غير خاصة بالمسلمين، فهي تستعمل في ديانات أخرى سواء أكانت سماوية أو غير سماوية، موحّدة أو غير موحّدة، بدليل إمكانية استعمال صيغة الجمع Les Dieux. فالترجمة الصحيحة هي ترجمة حميد الله.

كما نلاحظ في ترجمة جاك بيرك آثارا للمسيحية في ترجمة "ابنة عمران" و"كتبه" في قوله تعالى:

"وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرانَ الّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فيهِ مِنْ رُوحِنا وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وكانَتْ مِنَ القانِتين" [التحريم : 12].

ترجم جاك بيرك قوله تعالى "ابنة عمران" بـــ fille de Joachim وترجم "كتبه" بـــ "des écritures"

ترجمة جاك بيرك:

Et Marie, fille de Joachim. Elle sut fortifier son sexe. Nous y insufflâmes de Notre Esprit. Elle avéra les paroles de son Seigneur et des Ecritures. Dévote fut-elle entre tous.

بينما نجد la fille d'Imran في ترجمة كل من حميد الله وهاشمي حفيان.

أما بالنسبة لـــ"كتبه" فنجد Ses Livres في ترجمة حميد الله، وفي ترجمة هاشمي حفيان Livres révélés.

ترجمة حميد الله:

De même, Marie, la fille d'Imran qui avait préservé sa virginité; Nous y insufflâmes alors de Notre Esprit. Elle avait déclaré véridiques les paroles de son Seigneur ainsi que Ses Livres: elle fut parmi les dévoués.

ترجمة هاشمي حفيان:

Et Marie, la fille d'Imran, qui vécut dans la chasteté. Nous lui insufflâmes de Notre Esprit ; Elle a cru aux paroles de son Seigneur et aux Livres révélés. Elle était du nombre de ceux qui obéissaient à Dieu.

كما نلاحظ في ترجمة الآية الكريمة وجود خطأ يعتبر تحريفا للمعنى، وذلك في ترجمة المخاطب بالمتكلّم أو الغائب، وحذف لكلمة وإضافة علامة التعجّب، وذلك في الآية الكريمة:

"لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصدّعاً مِنْ خَشيةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [الحشر: 21].

إن الغرض من هذا التمثيل هو توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة خشوعه عند تلاوة القرآن.[5]

ترجمة جاك بيرك:

Si Nous avions fait descendre ce Coran sur une montagne, on aurait vu celle-ci se fendre sous l'effet de la crainte de Dieu.
De telles semblances Nous usons à l'intention des hommes, dans l'attente qu'ils réfléchissent !

ترجمة حميد الله:

Si Nous avions fait descendre ce Coran sur une montagne, tu l'aurais vu s'humilier et se fendre par crainte d'Allah. Et ces paraboles Nous les citons aux gens afin qu'ils réfléchissent.

ترجمة هاشمي حفيان:

Si Nous avions fait descendre ce Coran sur une montagne, tu la verrais s'émouvoir et se fendre sous l'effet de la crainte de Dieu. Nous proposons de tels exemples aux hommes afin qu'ils réfléchissent !

إن الخطاب في قوله "لرأيتَهُ" موجّه للإنسان، ولكن جاك بيرك ترجمه بقوله: on aurait vu إذ استعمل ضمير الشخص "on" وهو يحيل إما إلى الجمع المتكلّم مثل الضمير nous وإما إلى ضمير الغائب، وليس هذا هو المقصود في الآية ونلمس الترجمة الصحيحة عند كل من محمد حميد الله وهاشمي حفيان.

ونلاحظ أيضا في ترجمة جاك بيرك عدم ترجمة صفة الجبل "خاشعا" ولكن الله تعالى وصف حالة الجبل لو أنزل عليه القرآن فقال "خاشعا متصدّعا". كما أنه ترجم "لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ بـــ qu'ils réfléchissent ! dans l'attente أي في انتظار أن يتفكّروا، ممّا ما يوحي بوجود مهلة بين ضرب المثَل والتفكّر وهذا غير وارد في معنى الآية. وانفرد باستعماله علامة تعجّب(!) في آخر الآية، ليبدي التعجّب من موقف الإنسان، وذلك سعيا منه إلى إحداث تأثير في المتلقّي ولكن القرآن لا يشمل على مثل هذه العلامات، فقارئ معاني القرآن قد يتوهّم وجود هذه العلامة.

وفي ترجمة آية أخرى استعمل ما يعرف في إجراءات الترجمة بالعكس المنفي كترجمة شجاع بغير جبان ورفض بلم يقبل على سبيل المثال. فتُرجم قوله تعالى "الذين كفروا" بـــ ceux qui ne croient pas ولكنها ترجمة غير دقيقة، وذلك في ترجمة هاشمي حفيان:

"مَثَلُ الّذينَ كَفَرُوا بِرَبّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرّيحُ في يَومٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا على شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعيد" [إبراهيم : 18]

ترجمة هاشمي حفيان:

Les actions de ceux qui ne croient pas en leur Seigneur sont comparables à de la cendre qu'un vent violent soulève par un jour de tempête. Ils ne tireront aucun profit de ce qu'ils ont accomplis. Tel est le profond égarement.

ترجمة جاك بيرك:

Semblance de ceux qui ne dénient leur Seigneur ; leurs œuvres sont comme la cendre que le vent violent pousse un jour

d’ouragan ; Ils n’ont pouvoir sur rien qu'ils se soient acquis : l’égarement illimité !

أما جاك بيرك فاستعمل الفعل dénier أي بمعنى نكر، نفى، أبى فهو غير خاص بالكفر الذي يعني عدم الإيمان.

وترجمة حميد الله تعتبر الأنسب، لأنها تحمل معنى الكفر.

les œuvres de ceux qui ont mécru en leur Seigneur sont comparables à de la cendre violemment frappée par le vent, dans un jour de tempête. Ils ne tireront aucun profit de ce qu'ils ont acquis. C'est cela l'égarement profond.

كما أننا لا نلمس معنى القدرة في ترجمة "لا يَقْدِرُونَ" عند هاشمي حفيان وحميد الله، فاكتفيا بقولهما "Ils ne tireront" على عكس ترجمة جاك بيرك إذ نجد "Ils n’ont pouvoir"

ونذكر كمثال لترجمة الزمن في قوله تعالى:

"إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [آل عمران: 59]

ترجمة جاك بيرك:

La semblance de Jésus au regard de Dieu est celle d’Adam, que Dieu créa de terre, puis Il lui dit : «sois», et il fut.

ترجمة حميد الله:

Pour Allah, Jésus est comme Adam qu’Il créa de poussière, puis Il lui dit :« sois » : et il fut.

ترجمة هاشمي حفيان:

En vérité, le cas de Jésus auprès de Dieu est semblable au cas d’Adam. Dieu l’a créé de terre, puis Il lui a dit : «sois !», et il est.

تبيّن الآية قدرة الله تعالى على الخلق وورد في التفاسير أن قوله "ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ" يعني أنشأه بشرا وقوله "فيكون" حكاية حال ماضيةّ،[6] فاستعمل الفعل في المضارع ولم يقل فكان لاستحضار صورة تكوّنه[7]. فالتعبير هنا للماضي بلفظ الحاضر.

وهذا ما نلمسه في ترجمة هاشمي حفيان على عكس ترجمة كل من جاك بيرك وحميد الله حيث نجد زمن الماضي.

نستخلص مما سبق أن دراسة ترجمات القرآن الكريم ومقارنتها فيما بينها أظهر لنا نتائج من بينها:

- وجود أخطاء فهي لا تؤدّي المعنى الدقيق، ففيها إما نقص أو زيادة
- ضرورة الرجوع إلى تفاسير القرآن الكريم للتمكّن من فهم المعنى
- التمكّن من اللغة المنقولة واللغة المنقول إليها للتعرف على المعنى الدقيق ونقله بما يكافئه
- إن الترجمات التي يقوم بها المستشرقون تحمل بعض آثار المسيحية
- لدِين المترجم دور هام في تأدية مهمتّه بدقّة وأمانة فالمسلم يحرص حرصا شديدا على نقل معاني القرآن إيمانا منه بأنه كلام الله ومخافة الوقوع في الأخطاء من تحريف أو زيادة أو نقصان، فالمترجم المسلم أشد حرصا من غيره من المترجمين.
- التكافؤ الدينامي الذي يهدف إلى تحقيق تكافؤ الاستجابة لا يضع حدودا أماما المترجم مما يؤدّي إلى تضليل القارئ كحال علامة التعجّب عند جاك بيرك
- لا يمكن نقل الأثر لأن التكافؤ الكلي مستحيل ذلك أن القرآن الكريم معجز إذ عجز العرب عن الإتيان بمثله على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم، وعليه إذا كان العجز في محاكاته باللغة ذاتها فكيف يكون النقل إلى لغة أخرى؟
- ضرورة عرض المترجم ترجمته على مصحّحين لغويين ومختصين في علوم القرآن الذين يجيدون اللغة المنقول إليها
- على المترجمين المسلمين الاهتمام بمراجعة الترجمات السابقة خاصة تلك التي قام بها المستشرقون.

الهوامش:

1- مشلب، ر، موسوعة الترجمان المحترف: صناعة الترجمة وأصولها، دار الراتب الجامعية بيروت، ص13.

2- Nida, E. & Taber, The theory and practice of translation, Brill, Leiden, The Netherlands, 2003, p12.

3- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط 15، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص313، 314.

4- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط4، بيروت، 1980 ص140

5- الزمخشري، الكشاف، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج6، ص85

6- المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 563

7- محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1984، ج3، ص264.